حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليديـة والتحويليـة

لقاء مع عالم اللسان الأمريكي الدكتور نوام تشومسكي ، قسم اللغات الحية والبحث المخبـري الالكترونـي فى المعهـد التكنولوجـي فى ولايـة ماستشوسيتس . قام باجـراء المقابلـة مـازن الوعـر * كمبـردج ـ ماستشوسيتش 31 كانون الثاني 1980 .

ان كل نظرية تقام حول اللسان البشري فانما تقام ـ كما يراه يلمسليف اللساني الدانماركي ـ لا على ضرورة ادراك النظام اللساني فى صورتـه وكيفية استعماله ، فى كليته وفرديته فحسب بل أيضا على ضرورة ادراك الانسان نفسه والمجتمع الانساني من وراء اللسان وذلك لتحقيق هدفها الأسمى وهو فهم ما يمتاز به الانسان وعالميته . وعلى الرغم من أن النظرية اللسانية هي جد قادرة أن تحقق هذا الهدف الا أن هناك صراعا جدليـا مستمرا بين الانسان والواقع لابد من الاعتداد به .

لقد كانت مناسبة عظيمة أن قابلت اللساني الأميركي الأستاذ نـوام تشومسكي وقد أجريت معه هذا الاستجواب وعرضت عليه بعض الأسئلة

---

* كتب الينا الأستاذ مازن رسالة يبين فيها بعض الأسباب التي دفعته الى ارسال ما حرره من هذه المقابلة الى مجلتنا ونشرها فيها . وهذا بعض ما جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح . تحية عربية من واشنطن أما بعد فقد تذكرت قولك لنا فى دمشق ، معشر طلبتك فى احدى محاضراتك بعد ما قابلت عالم اللسان الأميركي تشومسكي بانه كان قد تأثر شيئا ما بتراثنا اللغوي . والواقع أنني لم أدرك هذا تماما حتى ذهبت بنفسي اليه وسألته عدة أسئلة وقد تفضل بالاجابة عنها ، وقد قلت لنفسي لعل هذه المقابلة تكون تأكيدا لبحثكم فى هذا الموضوع . فتفضلوا بقراءة هذه المقابلة وسوف أكون شاكرا لكم على نقدكم وملاحظاتكم ، فاذا كانت ملائمـة لأن تنشر فى مجلـة اللسانيات التي تشرفون عليها فخير ذلك ..

طالبكم مازن الوعـــر

واشنطـن 1980/2/25

حول النظرية اللسانية وما أتت به من نتائج . وتفضل الأستاذ تشومسكي ـ وهو من اكبر علماء اللسانيات فى عصرنا ـ بالاجابة عليها شارحا بعض القضايا التي طرحت فى وقتنا الحاضر حول النظرية التي يجب أن تقام حول اللسان وقد اشتد الجدال فيها وأوضح الدكتور تشومسكي ايضا كيفية ارتباط نظريته هذه بما تقتضيه مقاييس النظريات التي تحاول أن تكون وافية لمرادها .

وانني لأدين للأستاذ قراءته لهذا الاستجواب ولاجرائه بعض التعديلات والتصحيحات المفيدة .

مازن الوعـر
كمبرج ـ ماستشوستس
31 كانون الثاني 1980

السؤال الأول

أثناء اللقـــاء الذي أجريته مـــع اللساني الفرنسي أندريه مارتينه André Martinet في المؤتمر العالمي الخاص باللسانيات التطبيقية في مدينة مونتريال 1978 ، فانه قد عارض نظريتك في النحو التوليدي والتحويلي مدعيا أن هذه النظرية هي نتيجة لنظرك في اللغة الانكليزية وحدها ، لذلك لا نستطيع أن نطبقها على بقية اللغات البشرية الأخرى . فما هو رأيك بهذا القول ؟ (1) .

الجواب

ان أية نظرية لابد أن تكون مبنية على البحث والاستقصاء القائم على عدد من اللغات المعينة فهذا القول صحيح بل هو ينطبق على ما أبحثه في اللغة الانكليزية ولكنه ليس صحيحا أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية هي نتيجة لنظري في اللغة الانكليزية والحقيقة انني تعجبت حين سمعت أن أندريه مارتينه قد قال ذلك اذ أن أحسن البحوث اللسانية وأفضلها قد استخدمت نظرية النحو التوليدية والتحويلية وطبقتها على اللغة الفرنسية في فرنسا نفسها . ولم يكتف الأمر على ذلك بل هناك بحوث مكثفة جرت لتطبيق تلك النظرية على اللغات الرومانية وعلى بعض اللغات الأخـرى الأوربية ثم بعض اللغات الشرقية كاليابانية مثلا . بل هناك بحوث ممتازة في الولايات المتحدة نفسها لتطبيق هذه النظرية عـلى اللغـات الهنديـة الأميريكية . فقد بدأت قبل هذه التطبيقات منذ عشرين سنة ونيف .

ليس هناك أية حقيقة وراء ادعاء اندريه مارتينه الجازم . ولكن على أية حال أستطيع أن أرى بعض الحقائق المعنية في زعمه هـذا وهي أن التطبيقات اللسانية لنظرية النحو لا يمكن أن تكون مبنية على معـارف سطحية للغة المدروسة . اننا لا نستطيع أن نقوم بتطبيق جدي لنظريـة النحو التوليدية والتحويلية على أساس ضئيل من المواد اللغوية . انه على العكس من ذلك يجب أن تكون لدينا معرفة واسعة وعميقة حول اللغـة المدروسة قبل أن نطبق النظرية . والواقع أن معظم التطبيقات اللسانيـة لنظرية النحو التوليدية والتحويلية انما تمت من قبل الباحثين الذيـن يتكلمون لغتهم . وهذا ما سبب بعض المشكلات الأساسية لعلماء اللسان الذين اعتدوا البحث والاستقصاء اللغوي في طرق مختلفة : انهم اعتادوا أن يدرسوا لغات معينة لا يستطيعون التكلم بها .

---

1 ـ لمزيد الاطلاع على المقابلة التي أجراها صاحب هذه السطور مع اللساني الفرنسي أندريه مارتينه André Martinet يستحسن بالقارىء الرجوع الى مقالتنا « على هامش المؤتمر اللغوي الخامس للسانيات التطبيقية لقاء مع عالم اللسان الفرنسي أندريه مارتينه » المنشورة في مجلة **المعرفة** الدمشقية العدد 203 الصفحة 182 السنة 1979 .

انني اشعر فعلا انه لا يمكن ان نمتحن اية فرضية حول اللغة دون معرفة مكثفة لمعطيات اللغة المدروسة نفسها . وان تلك المعطيات ليست متوفرة الا لمتكلمي اللغة انفسهم .

السؤال الثاني

لقد ادعى اللساني الفرنسي اندريه مارتينه انك لست لسانيا بل انك رياضي ومنطقي وذلك لأنك تنظر الى اللغة من منظار رياضي وليس من منظار لساني لغوي فهل لك أن تعلق على ذلك ؟

الجـواب

ليس عندي اية فكرة حول ما يعنيه هذا الكلام فانني ابحث فى المباديء اللغوية العامة وأحاول بالطبع أن أقدمها فى أوضح عبارة ممكنة وأدقهـا فانا مقتنع تماما أن البنية اللغوية انما هي بنية معقدة تتضمن اشكالا مختلفة من العلاقات المترابطة المتداخلة التي هي غاية فى التجريد . ولهذا ينبغي على النظرية اللسانية أن تصاغ على شكل نظام استنتاجي Deductive حتى نتمكن من تفسير العلاقات المعقدة المجردة الكامنة فى اللغات البشرية على أساس التفاعل الحاصل بين عدد من المباديء العامة والموحدة . فمقصودنا فى الأخير هو أن نحدد هذه الظواهر فى خواصها الجوهرية بلغة الرياضيات أي فى أطر وأنظمة رياضية دقيقة . (فبالنسبة الى زعم مارتيني) يمكنك أن تقول نفس الشيء عن علماء البيولوجيا : ان تدعي أنهم ليسوا علماء بيولوجيا بل علماء رياضيات لأنهم يحاولون ان يجعلوا نظرياتهم أكثر دقـة وموضوعية (باللجوء الى الصياغة الرياضية) ، كل عالم يحاول أن تكون نظريته دقيقة وكلما كانت النظريات أدق أمكن حينئذ اللجوء الى المثـل الرياضية التي تحتوي على بعض ما تتصف به هذه النظريات من خواص . وبعبارة أخرى يصير من الممكن النظر الى بعض هذه الخواص من وجهـة نظر تجريدية . وهذا يعني أنه يجب علينا أن نقيم النظرية اللسانية من وجهة تجريدية بحتة .

السؤال الثالث

لقد ادعى اندريه مارتينه ايضا أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية نظرية تضيق عن تفسير الظواهر اللغوية . وقد اعطى مثالا لجملة مؤلفة من الـ Predicate والـ Subject (2) فان نظريتك تقول بأن أية جملـة تتألف من عنصرين لغويين الأول هو الـ Subject والثاني هو الـ Predicate

---

2 ـ هو قريب مما يسميه النحاة العرب بالمسند والمسند اليه .

ولكن هناك جملا فى اللغة الفرنسية لا تتالف الا من عنصر لغوي واحد هو Predicate وقد اعطى مارتينه هذه الجملة مثالا على ذلك: Il y a du soleil (هناك شمس) . فما هو رايك عن هذا القول ؟

الجـواب :

دعني اضع المشكلة فى هذا الاطار : يجب ان نفسر اية بنية لغوية حسب معاييرها النحوية التوليدية فى اللغة المدروسة . فالادلاء بمثال واحد لا يعني شيئا . وذلك لاننا لا نعرف كيف يرتبط هذا المثال اللغوي بالبنية التنظيمية العامة للغة المدروسة . فاذا وضع شخص ما نظرية لسانية للبنية التنظيمية للغة الفرنسية وذلك لتحديد العناصر اللغوية لتلك اللغة فانه يمكن لهـذا الشخص بعدها ان ياخذ الجملة Il y a du soleil ويسال نفسه : كيف يندرج مثل هذا التركيب اللغوي فى البنية التنظيمية العامة للغة الفرنسية فسيجد انه يندرج فى داخل هيكل المسند والمسند اليه (كما اظن انه صحيح فى هذه الحالة) او انه يندرج فى هيكل آخر . فاذا لم تحدد البنية التنظيمية فلا معنى للامثلة المبعثرة المفردة .

ان هذه الحالة تشبه حالة انسان اتى الى اختصاصي فى الفيزياء وقال له : شاهدت حدثا غريبا اليوم فكيف تفسره ؟ ولكن كيف يمكن للعـالم الفيزيائي تعليل هذا الشيء الغريب بشكل مرتجل ؟ (3) فان السؤال ينبغي أن يكون : كيف حدث هذا الشيء الغريب ضمن علاقته بالقوانين والمباديء العامة التي تعمل فى داخل النظام ؟ فاذا كان لمارتينه نظرية عامة تستطيع ان تفسر البنية التنظيمية فى اللغة الفرنسية ومن ثم أن تضع الجملة Il y a du soleil فى مكانها الملائم من تلك البنية فانه يمكن للمرء بعدها أن يتاكد فيما اذا كان التحليل البنوي لهذه الجملة صحيحا ام لا . ثم انه يمكن القيام بمثل هذا من خلال نظرية ريتشارد كين Richard Kayne الذي طبق نظرية النحو التوليدية والتحويلية على اللغة الفرنسية . فنتساءل هـل تستطيع هذه الجملة أن تندرج فى البنية التنظيمية التي وضعها ريتشارد كين ؟ وهكذا نتبين أن القضية ليست بين نظرية النحو التوليدية ونظرية أخرى غير توليدية ايهما أصح ؟ لأن كل انسان منا يقوم بما يقتضيه النحو التوليدي اذا أمعن النظر . ومعنى ذلك أن أي واحد يحاول أن يتعرف على ما يملكه الفرد من علم للغته فان عمله سيكون من قبيل النحو التوليدي . وهذا يعني أنه يحاول اكتشاف البنية التنظيمية العامة التي تولد العلم

---

3 – أي بدون معرفة أسبابه وربطه بالبنية العامة التي تنتظمه اذ أن عالم الفيزياء لـن يستطيع أن يفسر هذا الحدث الغريب الا اذا استطاع أن يربطه بالنظام العام للظواهر الفيزيائيـة .

باللغة . ومن الطبيعي لمثل هذه البنية التنظيمية أن تفسر كل الظواهر اللغوية بطريقة أو بأخرى . فاذا كان بعض التركيبات اللغوية لا تخضع لمعيار البنية التنظيمية التي هي من قبيل « المسند والمسند اليه » فحسن . ان ذلك يزودنا بمعرفة أوسع للمباديء اللسانية التي تنظم اللغات البشرية . ولكنه لا يمكننا أن نفسر أن تركيب لغوي بمثال واحد معزول عن النظام الذي ينتظم فيـــه .

السؤال الرابع .

ان أندري مارتيني لا يؤمن بمفهوم البنية العميقة Deep structure فانه ينظر الى اللغة من خلال المعيار الظاهري (أي من حيث ظاهرها) Surface structure وهذا ما وضحه فى نظريته الوظيفية Functional theory هل تعتقد أن المعيار الظاهري كاف فى التحليل اللساني . ؟ .

الجـواب

اظن أن الخلاف الحقيقي بين ما يبحثه أندريه مارتينه وبين ما يبحثه علماء النحو التوليدي لا يتعلق بالبنية العميقة والبنية الظاهرة للغة أن الخلاف يتعلق بالهدف من البحث اللساني .

ان الهدف من البحث اللساني فى نظرية النحو التوليدية والتحويلية انما هو تحديد المعرفة اللغوية عند المتكلم (أي علم المتكلم بلغته) فمثلا أنت تتكلم اللغة العربية وهذا يعني أن هناك شيئا متصورا عن هذه اللغة فى ذهنك ومن ثم فى دماغك الذي سيحدد اللفظ ودلالته . كما سيحدد بالتالي العلاقات المتداخلة بينهما ، تلك العلاقات التي ستولد أنواعا غير متناهية من الجمل .

ان التفسير الوحيد لمثل هذه العمليات اللغوية ينحصر فى وجود نظام من الضوابط قد تم تسجيله فى دماغك ولا يمكن أن يكون لديك قائمة الجمل الممكنة كلها لان عددها هو غير متناه ولهذا فلابد أن تكون قد حصلت على نظام كامل من الضوابط . فالسؤال الذي يجب أن نطرحه هو عن النظام من الضوابط ما هو ؟ يجب أن يكون نظاما متناهيا من الضوابط يبنى عليها ويتفرع عليها عدد غير متناه من الجمل عندما تتكلم بالكلام العربي وتعيه بكيفية عفوية . فالاختلاف الرئيسي بين ما يقوم به أندريه مارتينه وبين ما يقوم به علماء النحو التوليدي هو أن مارتينه غير مهتم بنظام الضوابط وينجر على ذلك انه ليس هناك طريقة ما للمقارنة بين ما يقوله وبين ما يقول صاحب النحو التوليدي . انهما فى حقلين مختلفين تماما . ان عالم النحو

التوليدي مهتم بشرح المعرفة اللغوية التي يملكها المتكلم والمخاطب . ولا يكتفي بالتعليق البسيط على بعض التركيبات اللغوية (في حد ذاتها) . فاذا كان لبعضهم أن يهتموا بذلك فبها ونعمت ، انهم يبحثون في حقل لساني آخر غير الذي نبحث فيه .

ولكن لنفرض انك مهتم بهذا السؤال : اي نوع من المعرفة يعلمها الانسان الذي يتكلم بلغة من اللغات ؟ أو بالسؤال عن النظام من الضوابط الذي يمكن الانسان الذي يعرف لغة أن يتكلم بها بعفوية وأن يعبر عن أفكاره وأن يصل الى فهم المجالات من المعاني التي لا حد لها عند ذلك يمكن أن تسأل نفسك : أيمكن للنظام من الضوابط أن يحتوي في ثناياه ما يسمى بـ « البنية العميقة »Deep structure ام ان مثل هذه البنية لا وجود لها في هذا النظام .

فاذا لم تسأل نفسك ذلك السؤال الأول فان السؤال عن وجود بنية عميقة ليس بوارد . وهكذا فان مارتينه ليس له أن يسأل عن وجود البنية العميقة وذلك لانه لم يقبل (ولا حاجة له أن يقبل اذا كان يريد البحث في شيء آخر) الفرضية القائمة على محاولتنا لفهم ما يعلمه الانسان كمتكلم وفهم طبيعة تلك المعرفة اللغوية والشكل السيكولوجي الذي تتمثل فيه هذه المعرفة اللغوية . فاذا كان المرء مهتما بهذه الأسئلة فحسن . والا فالسؤال عن البنية العميقة ليس بوارد ابدا . ويمكنك أن تصف الظواهر اللغوية بأية طريقة شئت ما دمت غير مهتم بالنظام السفلي من الضوابط الذي به يتحدد ويبنى عليه العلم باللغة .

السؤال الخامس .

نعتقد نحن العرب ان الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة انما هي جهود مهمة أسهمت الى حد كبير في بناء علم اللسان الحديث Linguistics ما هي آراؤك حول هذه القضية ؟

الجـواب

قبل ان ابدا بدراسة اللسانيات العامة كنت اشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية . وما زلت اذكر دراستي للآجرومية (4) منذ عدة سنوات خلت ، أظن اكثر من ثلاثين سنة ، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال Franz Rosenthal الذي يدرس الآن في جامعة يال Yale University . لقد كنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا University of Pensylvania وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة ولكنني لا اشعر انني كف ءللحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث .

---

4 ـ الآجرومية : هو كتاب مختصر مشهور في النحو العربي لمؤلفه ابن آجروم (القرن الثامن الهجري) ونقل الى اللاتينية في القرن الـ 16 الميلادي .

السؤال السادس .

لقد قيل ان تشومسكي هو شمس بدات تأفل بالغروب : هل لك أن تعطينا فكرة عن بحوثك اللسانية اللاحقة لنظرية النحو التوليدية والتحويلية ؟

الجـواب

اعتقد باديء ذي بدء أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية هي في أغرى اطوارها وذلك للأسباب التالية :

ان المشكلة الأساسية التي واجهناها في المراحل المبكرة لنظرية النحـو التوليدية والتحويلية منذ حوالي ثلاثين سنة خلت هي تطوير مفاهيم معينة للضوابط والبنى اللغوية بما في ذلك مفهوم التحول النحوي . ان مثل هذا المفهوم التحويلي في العملية النحوية انما هو غني جدا في طبيعته بحيث يمكننا من تجلية الظواهر اللغوية المعقدة جدا . وبلغت درجة من التعقيد بحيث لم تستطع النظرية البنوية Structuralism أن تستوعبها في داخل هياكلها الفكرية وتشرحها وتعالجها معالجة جدية . وهكذا فقد كانت المشكلة الأولى التي واجهتنا هي تطوير مفهوم التحول النحوي بحيث يصبح في هذا المفهوم من الخصوبة ما سوف يمكننا من وصف الظواهر اللغوية المعقدة .

وفي الوقت نفسه فقد كان هدف نظرية النحو التوليديـة والتحويليـة الوصول الى ما سمي بـ : استيفاء التفسير Explanatory Adequacy ولم يكن الهدف من هذا الاستيفاء أن توصف الظواهر اللغوية باللجوء الى نظام من الضوابط فحسب بل أن يشرح لماذا هي على ما هي عليه . أما الآن فان طابع التبسيط في التفسير العلمي في اللسانيات الحديثة هو جد واضح . فالذي ينبغي أن نعلمه هو أن نفسر كيف يمكن للفرد أن يعرف ما يعرف من اللغة فالطفل اذا تحدث عنه الآن الباحثون فهو حديث عن كمية معلوماته ولا يتلفت الى البنية التنظيمية للغة التي اكتسبها . ومع ذلك فانه قادر أن يبني لنفسه في ذهنه نحوا يفرع عليه ما لا يتناهى من الجمل وهو لم يسمع منها الا جزءا ضئيلا في كلام الناس . فالمهم بالنسبة للتفسير هو أن تحدد القدرة الباطنية في ذهن الطفل التي تجعله يقفز هذه القفزة الهائلة من المعطيـات الحاصلة له بالسماع الى العلم الذي يبلغه من اللغة (5) .

وعند هذه النقطة بالذات يحدث تعارض وتدافع بين ما يضطلع به الباحث من عمل وصفي وعمل تفسيري . فلكي يتم لنا الوصف للتنوع والعدد الكبير من الظواهر نحتاج الى مفاهيم اكثر سعة فأكثر . ولكي نفسر هذه الظواهر فاننا سنحتاج الى مفاهيم محدودة اكثر فاكثر لان المسلك الوحيد الذي

---

5 ـ في نظر المدرسة الخليلية الحديثة هو « العلم بالتصرف في الكلام » وليس العلم بذوات الالفاظ والمعاني (انظر ما كتبه في ذلك الدكتور الحاج صالح) .

سيمكننا من تفسير القفزة التي يقفزها الطفل من المعطيات الى العلم المخصوص هو القول بأن القدرات الأولية للطفل جد محدودة وبالتالي فليس لديه امكانات كثيرة يمكن أن ينظر فيها . ولو كان أمامه عدد كبير من الأنظمة النحوية الممكنة لما استطاع ابدا ان يختار او يتعلم اي واحد منها . وكونه يقدر أن يتعلم واحدا منها أنطلاقا من العدد القليل من المعطيات لدليل على أنه مبرمج سلفا لهذه الغاية . اي انه قد نظم وهيىء لها بشكل مسبق . فأحدى الصفات التي فطر عليها الانسان هي أنه يكتفي ببعض الأنظمة النحوية المخصوصة ولكن هذا يترتب عليه أن تكون أنماط الوصف غير متعددة . وهنا يظهر تعارض بين الرغبة فى استعمال الأنماط الوصفية الكثيرة المتنوعة لاستيفاء الوصف (For descriptive adequacy) وبين الحاجة الى أنماط وصفية ذات المجال الدقيق الضيق لاستيفاء التفسير .

كانت المرحلة الاولى للبحث اللساني تتصف فى غالبها بالاهتمام بتوسيع أنماط الوصف واثرائها الا أنه تكاثرت تدريجيا على ممر السنين الأعمال التي تطرقت للحد من أنواع الأنماط الموضوعة لتمثيل القدرة الكلامية .

اعتقد ان مثل هذا العمل يأخذ الآن بعدا مهما جدا فى تحليل اللساني . يمكننا من صياغة بعض المبادي ءالعامة التي يمكن من خلالها تنظيم وظيفة الضوابط النحوية تنظيما دقيقا بحيث يصبح لهذه المباديء العامة تغيرات محددة ومقيدة . فهناك مثلا بعض المباديء النحوية تقول بأن التحول النحوي لا يستطيع أن يحرك العناصر اللغوية لمسافة بعيدة، بل ان مثل هذا التحويل النحوي يحرك العناصر اللغوية لمسافة قصيرة .

ان مثل هذه المباديء تدعى بـ « المباديء المكانية » Locality principles هذه المباديء المكانية تختلف بشكل طفيف من لغة الى لغة أخرى . ان نحو اللغة الانكليزية من جهة ونحو اللغة الايطالية والفرنسية من جهة أخرى يختلف بشكل طفيف فى الطريقة التي يمكن من خلالها تطبيق المباديء المكانية هذه .

والواقع انه بسبب التعقيدات الموجودة فى انظمة هذه المباديء المكانية العامة المشتركة فان الاختلافات البسيطة والطفيفة بين اللغات المذكورة أعلاه ستقود الى الاعتقاد أن هذه الظواهر مختلفة جدا ولا سيما من حيث البنية الظاهرة للغة . والحقيقة ان المباديء المكانية وبعض المباديء الاخرى التي كانت قد اكتشفت وطورت حديثا ستحد وتقيد بشكل قاطع مجموعة الأنماط الوصفية للظاهرة اللغوية . دعني أمثل لذلك بحالة محسوسة . خذ الأعمال التي ظهرت منذ 30 سنة فانه لوحظ فيها أن الانسان يستطيع ان يصوغ الصيغ الاستفهامية بأن يأخذ العبارة الاسمية Noun phrase ويبدلها بالصيغة الاستفهامية التي تبدأ بـ Who (= من) او What (= ما) مثلا . ومثال ذلك : الجملة الانكليزية You saw John (= شاهدت جون) فاذا بدلت John بـ Who فانك تحصل بهذا الضابط التحريكي

على الجملة التالية : ? Who did you see(= من شاهدت ؟) . وهكـذا يمكن الحصول على جملة استفهامية باجراء الضابط التحريكي وبعـض التبديلات الآلية الأخرى وهذه قاعدة مطردة فى ظاهرها الا أنها لا يمكن أن تطبق فى جميع الأحوال : مثال ذلك هذه الجملة : Your interest in him surprised me (= اهتمامك به ادهشني) . اذا حاولت أن تبدل Him بـ Who وأن تنقلها الى صدر الجملة فانك ستحصل على الجملة التالية Who did your interest in surprised me وهذا ليس من كلام الانكليز . من ثم يتبين أن هناك بعض الحالات لا تستطيع فيها أن تطبق الحركة التحويلية النحوية . ولم تكن العملية التحويلية نفسها فى الاعمال الأولى على القدر الكافي من التعقيد لتفسير مثل هذه الظواهر . فالحركة فى البحوث القديمة كانت تتضمن مجموعة من التقييدات السياقية وهذا ما كان يضمن لهـا الصواب ويبعدها عن الخطأ . ولكي تكون لعمليات التحويل مثل هذا المفعول فانه كان يجب أن يكون لمفهوم التحويل الشيء الكثير من قوة التفريع وسعة التميثل مع القدرة الكبيرة على التشكل وقد كان من المحتم أن تتعدد أشكال التحويلات الممكنة وبالتالي أن يعظم عدد الوجوه الممكنة من الأنظمة النحوية وقد بينت بعض البحوث الحديثة أن القليل من المباديء العامة كمبدأ المكان الذي سبق أن شرحته قد يكفي لتفسير لماذا يكون التحويل ممكنا فى بعض الحالات وغير ممكن فى حالات أخرى . وهذا يعني انه لم يعد ضروريا أن نقيد التحويل بتقييدات سياقية خاصة . كما يعني أن الأشكال الممكنة من التحويلات تصير بذلك جد محدودة . فالقليل جداً من التحويلات يمكن أن تحدث وكلها تخضع لمباديء عامة ولهذه المباديء نفسها أشكال محدودة العـدد .

وشهدت العشر السنوات الأخيرة عملا يبشر بفائدة ، على ما يبدو لي ، فى الأنظمة المختلفة من تلك المباديء العامة . ويظهر أن كل واحد من هذه المباديء محدود الاشكال وهذا ما سيسمح لنا أن نبسط الضوابط النحوية بكيفية جذرية . وبالفعل فانه يمكن تكثيف القواعد التحويلية على مستوى نواة أساسية من النظام النحوي لتصير قاعدة واحدة تكون لها القوة الكافية على تحريك أي جنس من الأجناس اللغوية » . (Move any category)

ان المباديء اللسانية العامة يمكن أن تتفاعل بشكل مناسب للسيطرة على الحركة التحويلية ومنعها من أن تولد الصيغ النحوية الخاطئة . وقد تم بحث عدد كبير من الظواهر الجديدة من خلال هذا العمل وتوسع مجال الوصف ايما توسع ، قبل كل شيء فى اللغة الانكليزية وبعض اللغات التي تكثر دراستها بل وأيضا على عدد من اللغات الأخرى . وهكذا صرنا الآن نتصور نظرية نحوية توليدية أرقى وأتقن مما كانت عليه جميع النظريات التوليدية التي ظهرت فى السنوات الماضية .

ان الصياغة الجديدة لنظرية النحو التوليدية والتحويلية ستحوى فى بنيتها التنظيمية المباديء اللسانية العامة كالمبدأ المكاني ثم بعض المباديء

الاخرى تكون صيغتها الاستنتاجية اوضح وابين . ان كل هذه المباديء ستتفاعل بكيفية تمكننا من استنتاج النتـــائج العديدة المعقدة انطلاقا منها بل ستكون المباديء قادرة على اتخاذ الأشكال المختلفة الى حد ما ــ على أساس ما تحتوي عليه من متغيرات ــ اذ اللغات هي نفسها مختلفة .

واذا افترضنا أن هذه المباديء اللسانية جزء مما فطر عليه الطفل فان عمل هذا الطفل عندما يتعلم اللغة ينحصر في تحديد هذه المتغيرات في اللغة الخاصة التي يتعلمها والكشف عن الصيغ المستحسنة المقبولة في تلك اللغة من بين الصيغ الجائزة . وعندما يكتمل العدد الكبير من هذه التقريرات عند ذلك ترسخ المبـــاديء ويستطيع انيستنتج انواعا جد معقدة من الحقائق حول اللغة .

هذا كل ما حصل بالفعل من الأعمال خلال العشر السنوات الماضية وقد دخلت اللسانيات بفضلها في مرحلة جديدة لم تستطع أن تقترب منها في أي وقت مضى . واعتقد شخصيا أن مستقبل البحث هو في هذا الاتجاه .

السؤال السابع :

ما هو رايك عن النظرية الدلالية التي وضعها اللساني الأميركي فيلمور Fillmore . والمسماه بـ Case Grammar أو الحالة النحوية والتي كانت قد عدلها اللساني الأميركي كوك Cook في كتابه المسمى بـ : Case Grammar the development of matrix model أو الحالة النحوية نشأتها وتطورمنهجها ؟

الجـواب

لم أطلع جيدا على النظرية التي كان قد صاغها كـوك Cook في كتابه المذكور ، ولكنني قد اطلعت على النظرية التي وضعها فيلمور Fillmore والمسماة بـCase Grammarأو الحالة النحوية . ان هذه النظرية ــ كما يبدو لي ــ هي نظرية مرتبطة بالنظام الدلالي ووصفه وهذا شيء معروف لأي باحث لساني . ان اية نظرية دلالية وصفية تفترض وجود علاقات دلالية في التركيب اللغوي كالعلاقات الموجـودة بـين الفاعـل المعنـوي Agent ــ وبين الأداة Instrument وغيرهما . ان مثل هذه العلاقات الدلالية تربط الأفعال ببعض العبارات الاسمية فاذا اعتبرنا تركيبا لغويا مثل : John broke the window with a hammar (كسرجان النافذة بالمطرقة) . فانه يمكن أن نقول أن John هو فاعل الفعل وأن Hammar هي الاداة وأن Window هي الواقع عليه الفعل Patient ان مثل هذه العلاقات الدلالية هي شائعة ومعروفة في اية نظرية دلالية وصفية على الرغم من ان تسميات هذه العلاقات الدلالية تختلف من نظرية الى أخرى . ففي نظرية جروبر Gruber وجاكندوف Jacken doff التي كانت قد صيغت في منتصف

الستينات فان هذه العلاقات تسمى بـ Thematic relations أو العلاقات في الاغراض . وفي نظرية كاتز Katz فانها تسمى بـ Semantic relations أو العلاقات الدلالية (الخاصة بالمعاني) وفي نظرية فيلمور Fillmore فانها تسمى بـ Case relaltions وا العلاقات الحالية . ولكن هذه التسميات هي شيء دلا يوصفي معروف عند كل باحث لساني . ولا اعتقد أن هناك نظرية تسمى بـ Case Grammar انها فقط وجهة نظر من بين وجهات النظر الدلالية الاخرى . ولكن المشكلة هي كيف يمكن أن نلحق هذه النظريات الدلالية الوصفية في البنية التنظيمية لنظرية النحو التوليدية والتحويلية . ومن هنا يبدا الخلاف بين علماء اللسان . ولكن رايي الشخصي في هذه المسألة هو أن ما سماه فيلمور Fillemore بـ Semantic relations أو بـ Thematic relations أو اية تسمية اخرى) انما يحددها بعض البنى النحوية اللفظية بتفاعلها مع ما تختص به المفردات من خواص. والواقع أن جزءا كبيرا مما كتبته انا شخصيا وما كتبه الكثير غيري في هذا المجال كان يرمي الى اثبات أن ما سماه فيلمور Case relations يندرج في نظام الضوابط الذي تتحدد به البنى التركيبية والدلالية للغة .

السؤال الثامن :

لقد ادعى علماء الدلالة ان نظرية النحو التوليدية والتحويلية تحتاج الى تعديل جدي وهذا ما قادهم لصياغة ما يدعي في علم اللسان بـ Generative semantics علم الدلالة التوليدي . هل تعتقد أن مثل هذه النظرية الدلالية هي جزء من نظرية النحو التوليدية والتحويلية أم انها نظرية منفصلة عن تلك النظرية في التحليل اللساني ؟ .

الجـواب .

ان سؤالك هذا قد لا يكون في جملته سؤالا اكاديميا وذلك لأن المذهب الدلالي التوليدي على ما أعلم قد اختفى بشكل جوهري ولا اعتقد أن أحدا يطبق هذه النظرية الدلالية التوليدية بل انني على الاقل لا اتذكر أن أي باحث في علم اللسان يلجأ الى التحليل اللساني منطلقا من هذه النظرية الدلالية . لقد كان هناك وضع حسن لما كان يسمى بعلم الدلالة التوليدي منذ عشر سنوات خلت ولكنني في هذه اللحظة لا أعرف على ماذا تنطبق هذه العبارة . اعتقد ان هذه النظرية كانت مهمة منذ عشر سنوات ولكنها كانت خاطئة في الوقت نفسه وذلك للأسباب التي ناقشتها في بحث كنت كتبته في مقالة نشرتها في كتاب Studies on semantics in generative grammar « دراسات حول المنهج الدلالي والتوليدي في نظرية النحو التوليدي » . لقد كانت هذه النظرية خاطئة ولكنها مهمة في الوقت نفسه وعلى اية حال فان هذه النظرية قد اختفت لذلك ليس هناك شيء يمكن مناقشته حولها .

السؤال التاسع :

ما هو رايك حول البحوث اللغوية لمدرسة براغ ؟

الجـواب .

هناك عدة وجوه مهمة تميز هذه البحوث اللسانية . اولى هذه الوجوه هو العمل الذي قاموا به فى حقل الصوتيات الوظيفيةPhonology فى ثلاثينات هذا القرن . فقد كان بحثهم للصوتيات بحثا ممتازا اثر على الكثير من الباحثين فى هذا الحقل . كما اهتموا بالدراسات التركيبية (Syntax) وذلك منذ عشرين او ثلاثين سنة فاتت وكانت اعمالهم مفيدة جدا . وقد عالجوا عدة مسائل تتعلق بالدراسات الوظيفية اللسانية واسلوب الحصر وغير ذلك . كما اهتموا بالدراسات لعدة لغات مختلفة وكانت الانكليزية واحدة منها . وقد استفدت من هذه الدراسات الا انني لم أجد فيها كبير فائدة من الناحية النظرية واعتقد انها قد استطاعت فى احيان كثيرة أن تتعمق فى وصف الظواهر اللغوية . وهي أعمال وصفية جيدة للغاية .

السؤال العاشر :

كيف تتوقع أن يكون علم اللسان كدراسة علمية للغات البشرية فى المستقبل ؟

الجـواب .

ينبغي فى رأي أن ننظر الى علم اللسان(Linguistics) على انه جزء من علم النفس (Psychology)وينبغي أن ننظر اليه فى المدى البعيد على انه جزء من علم البيولوجيا الانسانية Human Biology . وذلك لأن علم اللسان ، كما أراه ، هو جزء من دراسة المقدرة البيولوجية الخاصة التي يتصف بها الدماغ الانساني . فان تلك المقدرة انما هي صفة خاصة بالدماغ الانساني وحده على ما نعلم . تمكن الانسان من اكتساب العلم باللغة أي هذا النظام الضخم الغني الذي ينتظم عليه التعبير اللغوي وينفرد به الانسان وحده حسب معارفنا الحالية . ان دراسة اللسان موازية لدراسة نظام الرؤية البصرية : فكما يمكن للانسان أن يبحث عن نظام الرؤية البصرية كيف يجري عملها عند البشر كنظام متميز عن نظام الرؤية عند النحلة مثلا فكذلك يمكنه أن يبحث عن القدرة البشرية على الكلام كيف يتم عملها ، تلك القدرة التي يختص بها الجنس البشري على ما أعلم هو دون سواه . فالمسلك الآخر الذي اقترحه فى هذا الميدان هو هذا الذي وصفته الآن : أن نبحث عن الضوابط والمبادي ءالخاصة بهذا النظام وبالتالي عن المتغيرات التي بها يحصل الاختلاف بين اللغات حتى تصير هذه اللغة أو تلك محددة فى داخل هذا النظام الثابت من الضوابط . ونأمل أن نبين فى مرحلة أخرى كيف تتفاعل هذه المقدرة اللغوية بغيرها من الانظمة الفكرية بل وكيف تتمثل بكيفية حسية فى داخل الدماغ . فهذا عمل طويل النفس يمكن اللسانيات أن تقوم به .

السؤال الحادي عشر :

ما هو رايك بالفائدة التي يمكن للسانيات أن تستفيدها من خلال علم اللسان « الكمبيوتري » Computational linguistics (التي تعتمد على الرتاب أو الحاسب الالكتروني) هل تظن أن هذه اللسانيات ستسهم بالكثير في البحث اللغوي في المستقبل ؟

الجـواب .

نعم انه يمكن أن تسهم في البحوث اللغوية بشكل جيد . ان اللسانيات الرتابية يمكن أن تبرهن على فائدتها بامتحان النظريات اللسانية التي تبلغ من التعقيد حدا بعيدا بحيث لا نستطيع أن نحدد بالضبط ما يترتب عليها بمجرد النظر فيها 0 وعلى هذا فكلما ثريت النظريات وتعقدت وأردنا أن نعرف مدى تطبيقها على مجال واسع فانه يكون من المفيد احيانا أن تختبر على الرتاب . ثم ان دراسة الخورزمات (Algorithms) وهي التقنيات التي يتم بها اجراء العمل على الرتاب (6) يمكن أن تساعدنا أيما مساعدة لفهم مجرى العمليات الكلامية وكيفية انتظام العلم باللغة وكيف يمكن ادخال بعض هذه المعلومات واستعمالها في العمليات على الرتاب . لا أعتقد أن مثل هذه التقنيات قد ساهمت كثيرا فيما مضى في ترقية البحث اللساني غير انني أتوقع أن يكون لها دورها في المستقبل .

السؤال الثاني عشر :

الى اي مدى اسهم التراث العبري القديم في صياغة نظريتك في النحو التوليدي والتحويلي ثم في صياغة نظرية الصوتيات التوليدية ؟

الجـواب .

كما ذكرت من قبل ، ان دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى . فقد كان والدي مختصا في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى . وقد درست هذا النحو على يديه . وباعتباري طالبا في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث كما درست النحو العربي في القرون الوسطى كذلك فاذا اردت بعض التفاصيل حول هذا الموضوع فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي المسمى بـ The logical Structure of linguistics Theory (= البنية المنطقية للنظرية اللسانية) .

---

6 ـ نسبة الى الرياضي العربي أبي بكر الخوارزمي (المتوفي بعد 232) وهي عبارة عن سلسلة من العمليات الجزئية المتناسقة تتوقف كل واحدة على المسابقة تجرى للوصول الى غاية أو تحقيق نتيجة معينة (كعمليات الحساب والجبر والبرمجة على الرتابات وغيرها) . (وهذا الذي نسميه اليوم بالعمليات كان يطلق عليه الرياضيون العرب لفظة « العمل » = Calcul .

ناقشت فى هذه المقدمة كيف أن بعضا من دراستي المبكرة فى صغري لنحو القرون الوسطى كان قد قادني الى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك فى نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية وكانت هذه الأفكار فى الواقع هي المثل المعتبرة التي احتذيتها فى الأربعينات . وأول بحث كتبته فى النحو التوليدي هو ما كتبته فى النحو التوليدي للغة العبرية واعتمدت فيه على هذه الأفكار . وكان ذلك فى أواخر الأربعينات .

السؤال الثالث عشر :

لقد قيل ان تشومسكي هو أرسطو القرن العشرين فما هو رأيك بهذا القـول ؟

الجـواب .

لا أعتقد ذلك . أظن أنه لم يأت بعد اليوم الذي تحقق فيه اللسانيات ثورتها العلمية الحقيقية الا انني أعتقد أنها تقترب منه ولعلها ستدركـه قريبا الا أنها ما زالت تتحسس طريقها نحو هذه الثورة . اننا فعلا نبني قاعدة قوية لعمل ستتبعه فيما أعتقد ــ عاجلا أو آجلا ــ ثورة علمية عظمى .

أحب أن أضع ما قلته أنت فى صيغة أخرى مختلفة : اننا ننتظر « غاليليو » جديدا بالنسبة الى ميداننا هذا . فأن نحقق ثورة غاليليو العلمية ، هذا ما يمكن أن يتلامح فى الأفق .

السؤال الرابع عشر :

ان نظرتك الفلسفية حسب اعتقادي تقتضي ايقاع النظرية على محك الواقع وليس العكس . وهذا ما فعلته فى علم اللسان ، فقد أوقعت النظرية اللسانية على الواقع اللغوي وذلك من أجل التأكد من انطباق نظرية النحو التوليدية والتحويلية على اللغات البشرية . هل تعتقد أن الواقع اللغوي قد غير الصياغة الأولية لنظريتك وأعطاها اطارا مختلفا عن الاطار الأول ؟

الجـواب .

ان كل بحث كتبته أو كتبه علماء النحو التولبدي والتحويلي انما بني على مادة تجريبية لغوية وذلك لتأسيس نظرية لسانية معينة . فان النظرية لا يمكن أن تكون من صنع الخيال وحده بل لابد أن تكون مبنية على الاستقراء الممعن للأحداث . ومن هنا فانني لا أستطيع أن أفهم هذا التقابل بين النظرية والواقع . وفى اعتقادي أنه ليس هناك أي تضاد بينهما : أن النظرية هي اجتهاد لحصر الواقع فى جوهره بالاعتماد على معطياته الجديرة بالاعتبار.

السؤال الخامس عشر :

عندما يعرف احد نفسه فى حفلة من الحفلات على انه الطبيب الفلاني فان الناس حوله تتساءل فى أي مستشفى أو عيادة يعمل وعندما يعرف أحد نفسه على انه المحامي الفلاني فان كل واحد حوله يظن أنه عندما يقع فى مشكلة غير قانونية فان ذلك المحامي سيمد له يد العون . ولكنك عندما تعرف نفسك على أنك لساني فان التعجب يبدو على وجوه الناس الملتفين حولك سائلين ماذا تعني بعلم اللسان . وعندما تحاول أن تشرح لهم أن علم اللسان هو الدراسة العلمية للغات البشرية فانهم سيقولون : لماذا تكلف نفسك وتدرس هذه اللغات ما دمنا نتكلمها بشكل طبيعي .

والسؤال هو : هل تعتقد أن علم اللسان يستطيع أن يغير آراء الناس فى يوم من الأيام ؟ ثم هل تعتقد أن دراسة علم اللسان هي دراسة ذات أهميـــة ؟

الجـواب .

فى تراثنا الفكري الذي يرجع الى اليونان يعتقد ــ بحق على ما اظن ــ ان أهم شيء تجدر به الدراسة هو الانسان : ما هي حقيقته ؟ وخاصة كيف يعمل العقل الانساني ؟ ولا يمكن أن نجد موضوعاً للدراسة يكون أكثر دلالة من موضوع العقل الانساني وكيفية تأديته لوظيفته . وأهم ما فى هذا العقل هو ما يحققه من الانجازات الفكرية ، تلك الانجازات التي تتم بشكل طبيعي وتبدو لنا كأشيا ءعادية بحيث لا نفكر أبدا أن يكون فيها ما يشكل علينا ويجعلنا نبحث فيه . فأول مشكل ينبغي أن تتغلب عليه اذا أردت أن تدرس الانسان هو أن تحصل فى نفسك الشعور بالعجب والدهشة تجاه هذه الأفعال العادية التي تقدر على الاتيان بها فى ظروف عادية . . فاذا لم تستطع ذلك فلاشك انك سوف لا تتكلم الا بما مر بذهنك . والســؤال المطروح هو عن هذا الفعل العقلي كيف تستطيع أن تقوم به ؟ وما هو الشيء الذي يمكن الطفل من اكتساب هذه الملكة اللغوية التي تتعذر على القرد أو الكلب أو أي كائن آخر ؟ فما هي هذه المقدرة ؟ وماذا عساها أن يستتر وراءها ؟ ما هي خواصها وما هي صفاتها ؟ قال بهذا الصدد العالم النفساني ولفجانج كوهلر Wolfgang Kohler مرة : « يجب ان تقيم باستمرار بينك وبين الأفعال التي تصدر عنك نوعا من البعد أو المسافة النفسانية . ويجب أن تنظر اليها كأنك فى مكان خارج عنها حتى تدرك الى أي حد هي عجيبة وذلك قبل ان تحاول اكتشاف القدرات التي مكنتك من احداثها . وهذا ليس بمشكل اذا تناولت بالدراسة الظواهر الفيزيائية لأنك تناولت شيئا هو خارج عنك . فهناك يتحقق البعد النفساني بينك وبين موضوع بحثـك (بكيفية تلقائية) . واننا لا يد لنا فى تحريك الكواكب ولهذا تبدو لنا حركة الكواكب كظاهرة عجيبة و بما أن فعل الكلام صادر عنا ونحن المسؤولون عنه فلا يبدو لنا عجيبا مثل الظاهرة المذكورة . على أن هذا الفعل هو أعجب

بكثير من حركة الكواكب . وعلى هذا فلابد من تحقيق هذا البعد النفساني واقامته بالقدر الكافي حتى نستطيع ان نتامل ما نحققه من افعال الكلام بانفسنا ونتساءل كيف يتم لنا ذلك كما نتساءل عن حركة الكواكب كيف تجري في فلك على مثل هذه الحال . فاذا توصلنا الى تحقيق هذا البعد النفساني ازاء الظاهرة المعنية ، عند ذلك فقط يمكن ان نقوم بالبحث الذي سيؤدينا الى فهم الكيفية التي بها يعمل العقل الانساني . ان لهذا العمل العقلي عدة جوانب الا ان الجانب الأساسي فيه هو لا محالة ، اللسان . وليس من شك في ان التفوق البيولوجي والثقافي العظيم الذي فاز به الجنس البشري انما يرجع الفضل فيه في اكبر قسط منه الى اللسان الذي اكتسبه والذي سخره اداة للتفكير والتحليل وليس في الدنيا كائن آخر مني بهذا اللسان غيره . ولهذا فانه توجد بالضرورة في قلب كل دراسة في حقيقة الانسان دراسة اللسان .

تعريب : د . مازن الوعر